

﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: 49]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

هذه الآية من تمام الآية السابقة؛ لأنَّ المنافقين إذا دعوا إلى الله ورسوله؛ فإنَّما أن يكون الحقُّ عليهم، وهذه الحالة صَوَّرَتْهَا الآيةُ السابقة، وإنَّما أن يكون الحقُّ لهم، وهذه الحالة تصوَّرها هذه الآية، وقد نُظِمَ كُلُّ مِنْهُمَا فِي آيَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ؛ إِبْلَاغًا فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ ادِّعَائِهِمُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

بِالْقَرْنِ بَيْنَ
أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ
تُظْهِرُ حَقِيقَةَ
قَوْلِهِ وَفَعَلِهِ

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مُذْعِنِينَ﴾: (ذَعَن) أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِصْحَابِ وَالْإِنْقِيَادِ، يُقَالُ: أَذْعَنَ الرَّجُلُ؛ إِذَا انْقَادَ، يُذْعِنُ إِذْعَانًا، وَبِنَاؤُهُ ذَعْنٌ، إِلَّا أَنَّ اسْتِعْمَالَهُ أَذْعَنَ، وَيُقَالُ: نَاقَةٌ مِذْعَانٌ: سَلْسَةُ الرَّأْسِ مُنْقَادَةٌ⁽¹⁾.
وقوله تعالى: ﴿مُذْعِنِينَ﴾، أي: منقادين، مع كمال رغبةٍ وإسراعٍ⁽²⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

إنَّ هؤلاءَ المنافقين إذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، وَالحَالُ أَنَّ الْحَقَّ مَعَهُمْ وَلَهُمْ: يَكُنْ مِنْهُمْ إِتْيَانٌ سَرِيعٌ، وَانْقِيَادٌ سَرِيعٌ، مَعَ رَغْبَةٍ عَظِيمَةٍ، وَارْتِياحٍ شَدِيدٍ.

الْمُنافِقُونَ مِنْ
أَحْرَصِ النَّاسِ
عَلَى الدُّنْيَا

✽ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

معنى الواو في صدر الآية:

عُطِفَتْ جُمْلَةُ الشَّرْطِ وَالْجَوَابِ: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ عَلَى سَابِقَتِهَا - وَهِيَ آيَةٌ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الَّتِي

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذعن).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (ذعن).

هذه الآية تضيف
جديدًا من حال
المنافقين، وتؤكد
ما سبق ذكره

قد يكون الحق
مع المنافق،
ولكن في أمر
دنيوي

من شأن
المنافقين شدة
الحرص على
مصلحتهم

هي جملة الشرط وجوابه - بالواو؛ لكونهما خبريتين لفظًا ومعنى، والمعطوف زاد في وصف هؤلاء المنافقين المعرضين عن حكم الرسول ﷺ مؤكدًا الحالة التي عليها هؤلاء، فهم إنما يؤثرون مصالحهم على مصالح غيرهم؛ لسخافة عقولهم، وطيش أحلامهم، وغرور أنفسهم، فإذا ثبت الحق لهم؛ انقادوا، وأذعنوا، وإن كان عليهم؛ نفروا، وأعرضوا، بل أصرّوا، واستكبروا استكبارًا.

سر التعبير بـ: (إن):

ترد (إن) في الأمر المشكوك في وقوعه والمتردد فيه، أمّا (إذا)؛ فلا تكون إلا في الأمر المقطوع بوقوعه المتحقق حصوله، والتعبير بـ(إذا) في جانب الباطل: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، إشارة إلى تحققه، فهم عندئذ عليهم الحق، لا لهم، فهم في باطل، فيعرضون، بخلاف جانب الحق؛ فلذا عبّر فيه بـ(إن)⁽¹⁾، فهم إن كان لهم الحق من أدنى طريق أو جهة، ولو كان ذلك قليلًا؛ أسرعوا إلى رسول الله ﷺ أو المراد: بمجرد أن يكون لهم الحق؛ يأتوا إليه مذعنين، مع أن من حقه ﷺ عليهم أن يأتوا إليه مذعنين في كل حال، كان لهم الحق، أو كان لغيرهم.

دلالة التعبير بـ(يَكُنْ)، وإثبات نونه:

ورد الفعل ﴿يَكُنْ﴾ في قوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ مجزومًا؛ لكونه فعل شرط، أي: ثابتًا محققًا، وفي مادة الكون تنبيه على اعتقادهم الجازم في أن الحق لهم، فهو كائن كونا ثابتًا جدًّا⁽²⁾.

وهو كامل تام في أبصارهم وبصائرهم، على ما يفهمه إثبات نون الكون، مع أنه كان يمكن حذفه على الجواز، فيقال: (يَكُ)، على مذهب جمهور النحاة؛ لأن أول حرف في الكلمة التي بعد فعل الكون متحرّك.

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي: 6 / 395.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 5 / 275.

ومجيئُهُ مضارعًا؛ للدلالة على تجددِهِ واستمراره؛ فمتى ما تجددَ لهم حقٌّ؛ سارعوا إلى حكم رسول الله ﷺ.

معنى اللام، ودلالة تقديم ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿الْحَقُّ﴾:

اللام في قوله: ﴿لَهُمْ الْحَقُّ﴾ للاختصاص، والمرادُ بها: أنَّها دالَّةٌ على أنَّ بين الأول والثاني نسبةً؛ باعتبار ما دلَّ عليه متعلِّقه، والمعنى على ذلك: وإن كان الحقُّ خاصًّا بهم، أو يخصُّهم أقبِلوا إليه منقادين طائعين؛ إذ إنَّهم لا يلتفتون إلَّا لما يخصُّهم، وما هم به أَعْنَى؛ لتعلُّق نفوسهم به، ولهذا وقع الخبر الكون: ﴿لَهُمْ﴾ مقدِّمًا؛ لهذا الاختصاص، والمراد: يكنِ الحقُّ لهم، لا عليهم، وفي هذا مزيد ذمٌّ لهم وتقبيح لشأنهم، والضمير في: ﴿لَهُمْ﴾: عائِد إلى هؤلاء المنافقين المعرضين عن حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ.

سرُّ ورود لفظ ﴿الْحَقُّ﴾ معرِّفًا ب(أل):

ورد لفظ ﴿الْحَقُّ﴾ معرِّفًا ب(أل) العهدية، والعهد هنا ذهنيٌّ؛ لعدم سبق ذكر لهذا المعرِّف لا صريحًا ولا كناية، إلَّا أنَّه يُدرك المقصودُ منه مَنْ نطق الكلام، فأحضر في الذهن إحضارًا تامًّا.

علة التعبير بالإتيان:

قوله: ﴿يَأْتُوا﴾ فعل مضارع مجزوم؛ لأنَّه جواب الشرط في قوله: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾، والإتيان مجيءٌ بسهولة، ومنه قيل للسَّيل المارُّ على وجهه: أَتَى، وأتاويُّ، والإتيان يقال للمجيء بالذات، وبالأمر، وبالتدبير، ويقال في الخير، وفي الشرِّ، وفي الأعيان، وفي الأعراض⁽¹⁾، ووراء السهولة من المعنى الإسراع، والمعنى: أنَّهم يأتون إلى الحقِّ - إذا كان لهم - مسرعين مذعنين، وهذا هو الأَلصق بحالهم.

(1) الراغب، المفردات: (أتى).

المنافقون
يعتزون بما
لهم اعتزازًا
بالعُا؛ على
حين يهملون ما
لغيرهم بالكلية

الحقُّ معروفٌ
لدى الجميع؛
لكن مَنْ في قلبه
نفاقٌ يحيد عنه

من علامات
النفاق، حَقَّةُ
المشي في الأمر
الذي يكون
الحقُّ فيه لهم
فقط

الموقع الإعرابي ﴿إِلَيْهِ﴾، ودلالته:

قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ يتعلّق إمّا بالفعل في قوله: ﴿يَأْتُوا﴾، وإمّا باسم الفاعل: ﴿مُذْعِنِينَ﴾، وعلى الثاني يكون قد تقدّم على الحال: ﴿مُذْعِنِينَ﴾، قال الزمخشري في الثاني: "وهذا أحسن لتقدّم صلتته، ودلالته على الاختصاص، والمعنى: أنّهم لمعرفتهم أنّه ليس معك إلّا الحقّ المرّ والعدل البحت: يزورون عن المحاكمة إليك؛ إذا ركبهم الحقّ؛ لئلاّ تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبت لهم حقّ على خصم؛ أسرعوا إليك، ولم يرضوا إلاّ بحكومتك؛ لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمّة الخصم"⁽¹⁾.

سرّ التعبير بلفظ: ﴿مُذْعِنِينَ﴾:

من شأن هذا الفريق المنافق أنّه لا يرى إلّا مصلحته، ولا يُلقي بالأمر مطلقاً لغيره من المنافقين، ولا لله ورسوله، فهو قد أعلن نفاقه، فإذا دعوا إلى الله ورسوله؛ ليحكم بينهم - وليس لهم الحقّ -؛ إذا هم معرضون بالكلّيّة؛ لعدم رغبتهم مطلقاً في الإيمان بالله ورسوله، وهذا يعني كمال خلوّ قلوبهم من ذلك الإيمان، وكمال بغضهم لله ورسوله، وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إلى رسول الله، منقادين مُقبلين بالكلّيّة عليه، مع كمال رغبة وأريحيّة وإسراع؛ لأنّ مادة الإذعان تدلّ على الإصحاب والانقياد، ونقل ابن منظور عن أهل اللغة والتفسير أنّ الإذعان: الإسراع مع الطاعة، ولا شكّ أنّ معاني الرغبة الشديدة والارتياح الشديد، ونحو ذلك ممّا يتبع هذا المعنى لهذه اللفظة، وكلمة الطاعة ليس فيها معنى الإسراع، فلا يكون فيها معاني الرغبة والارتياح والشهوة في المطلوب، كما في كلمة الإذعان⁽²⁾.

(1) الزمخشري، الكشاف: 72/3.

(2) ابن منظور، لسان العرب: (ذعن).

للمنافقون قد
يجمعون بين
كمال الإقبال
على الرسول
وكمال الإعراض
عنه

الإذعان في الرضا
والغضب من
لوازم الإيمان

دلالة الاسميّة في: ﴿مُذْعِنِينَ﴾:

قد ورد لفظ ﴿مُذْعِنِينَ﴾ حالاً، وهو اسم فاعلٍ مِنْ: أذعن، أي: انقاد، وأطاع فلان لفلان؛ إذا انقاد له، وخضع لأمره، والتعبير باسم الفاعل ﴿مُذْعِنِينَ﴾؛ يدلُّ على ثبوت هذا الانقياد والخضوع، واستمراره، وكونه لا ينقطع عنهم ولا يفارقهم البتّة، وذلك لكونهم واثقين من حكمه ﷺ خصوصاً في هذه الحالة، وأنّه لا يبغض أحداً حقّاً، ولا يجور على خصم، مهما كان، عدوّاً، أو صديقاً، وإذعانهم هذا وخضوعهم إنّما لحكمة وليسبب يكون؛ إذا كان، ويغيب إذعانهم؛ إذا غاب، فلا يكون ذلك منهم إلّا إذا كانوا أصحاب حقٍّ قي أيّ قضية أو خصومة من قضايا دنياهم بينهم وبين غيرهم، وهم يعلمون أيضاً أنّ محمّداً ﷺ لا يحكم إلّا بالحقّ الصريح.

دلالة حذف المتعلّق:

حُذِفَ متعلّق قوله: ﴿مُذْعِنِينَ﴾؛ إيجازاً واختصاراً؛ لكونه معلوماً من دلالة الحال وسياق الكلام، والمراد: مذعنين لحكمه لهم، وأنّه لا يبغضهم حقّهم من وجهة نظرهم، وأيضاً لتوجيه النُفوس لإثبات الانقياد والطاعة منهم لحكمه، وأنّ النفس منصرفة عن هذا المحذوف - لعلمها به - إلى شيءٍ غيره، وهو الخضوع التّام والانقياد لهذا الحكم، ففي حذف المتعلّق تمكينٌ لمعنى الإذعان، كأنّهم مذعنون له في كلّ شيء؛ لعظيم فرحهم بأنّه سيّقضي، ويحكم لهم؛ لأنّ الحقّ معهم.

❖ الفروق المُعْجَمِيَّة:

الإذعان والطاعة:

الطاعة: انقياد وإصحاب، والإذعان: الإسراع مع الطاعة، ويتبع ذلك معاني الرغبة والشوق والارتياح وما جرى في هذا الطريق من المعنى، وتلك ليست بهذه القوّة في كلمة الطاعة؛ لأنّ الإسراع ليس من أصل معناها⁽¹⁾.

كَأَنَّ الإِذْعَانَ
لِلرَّسُولِ فِي
جِبَلَّتِهِمْ؛ إِذَا
كَانَ لَهُمُ الْحَقُّ

مِنْ شَأْنِ
الْمُنَافِقِينَ أَنْ
تَقُودَهُمْ
أَهْوَاؤُهُمْ

الإِذْعَانُ أَخْصَصُ
مِنْ الطَّاعَةِ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (ذعن).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفرقان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-79-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»